﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨﴾ [الحج: 28]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مَـن لبّـى نـداء الله كـان حقًّا عـلى الـلـه أن يُكرمه

لمّا ذُكر في الآية السّابقة تكليف الخليل ﷺ بأذان الحجّ وأخبر عن مُطاوعة النّاس تلبيةً له بالإتيان من أقاصي الأقطار؛ أخبر هنا عن جملةٍ من الرَّغائب والمقاصد جُعِلَتْ غايةً وعِلّةً لِرحلتهم وإتيانهم؛ فهي مِن تمام الحديث عن الحجِّ، وكذلك ما يأتي مِن آيات.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِّيَشۡهَدُواْ﴾: أصل (شهد) يدلّ على حضورٍ وعِلمٍ وإعلام، والشُّهود والشَّهادة: الحضور مع المشاهدة؛ إمّا بالبصر، أو بالبصيرة، لكنَّ الشُّهود بالحضور المُجرَّد أوْلَى، والشّهادة مع المشاهدة أولى[1]، والشّهادة لا بدّ أن تكون عن شهودٍ؛ أيْ: حضور؛ إذِ الشَّهادَةُ: قولٌ صادر عن عِلمٍ حصل بمشاهدةِ بصيرةٍ أو بصر[2]، وقوله: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ﴾ يعني: ليحضروا.

2) ﴿مَنَٰفِعَ﴾: أصل (نفع) يدلّ على خلاف الضُّرّ[3]، والنّفع: ما يُستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يُتوصّل به إلى الخير فهو خير، فالنّفع خير، وضدّه الضُّرّ[4]، والمنافع: جمع منفعة؛ وهي اسمٌ لما يُنال من المصالح والخيرات، والمُراد بها في الآية: المصالح الدّينيّة والدُّنيويَّة.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 49.
(2) الرَّاغب، المُفردات: (شهد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نفع).
(4) الرَّاغب، المُفردات: (نفع).

3) ﴿بَهِيمَةِ﴾: أصل (بهم) يدلّ على استغلاقٍ في الشَّيء، ومنه: أبهمت الباب: أغلقته إغلاقًا لا يُهتدى لفتحه[1]، ويُقال لكلّ ما يصعُب على الحاسَّة إدراكُه إنْ كان محسوسًا، وعلى الفهم إن كان معقولًا: مُبْهَم، والبَهيمةُ: ما لا نُطق له، وذلك لما في صوته من الإبهام؛ لكن خصّ في التعارف بما عدا السِّباع والطَّير؛ فالبهيمة شاملة للأنعام وغيرها، فمن ثم حسنت إضافتها للأنعام لإفادة البيان[2]، والمُراد بالبهيمة في الآية الكريمة: كلُّ ما يُضحى به من الإبل والبقر والغنم.

4) ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: أصل (نعم) يدلُّ على ترفّهٍ وطيبِ عيْشٍ وصلاح، والنَّعَمُ هو البهيمة من الإبل، وجمْعُه: أنْعامٌ، وإنما سُمّيت الأنعام بذلك؛ لكون الإبل عندهم أعْظَمَ نِعْمةٍ، لكِنِ الأنْعامُ تُقال للإبل والبقر والغنم، ولا يُقال لها أنْعامٌ حتى يكون في جملتها الإبل[3].

5) ﴿ٱلْبَآئِسَ﴾: أصل (بأس) يدلّ على الشِّدّة وما ضارعها؛ فالبأس هو الشدّة في الحرب، والبؤس: الشِّدَّة في العيش[4]، و﴿ٱلْبَآئِسَ﴾ من (بئِسَ) كـ(سمِع)، إذا ساءت حاله وافتقر، وبيّن أنّه من (بئِس) الَّذي هو شدَّة الفقر، لا مِن (بَؤُس - ككرُم) الَّذي معناه: اشتدَّ في الحرب - بقوله: ﴿ٱلْفَقِيرَ﴾[5].

المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبر اللّه سبحانه عن غاية إتيان النّاس راجلين وراكبين من كلِّ مكانٍ بعيدٍ، وهي أنّهم أتَوا ليشهدوا وليُحصِّلوا منافع عظيمة لهم في دينهم؛ كمغفرة ذنوبهم واستجابة دعائهم، والفوز برضا ربهم، وفي دنياهم كربح تجارةٍ ببيعٍ وشراءٍ وعرضِ سلعٍ وأنواع صناعاتٍ[6]،

خيرُ المواسم ما اجتمعتْ فيها حسنة الدُّنيا وحَسَنَة الدّين

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفردات: (بهم).
(2) الرّاغب، المُفردات، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (بهم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفردات: (نعم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بأس)، والرّاغب المُفردات: (بؤس).
(5) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 40.
(6) طنطاويّ، الوسيط: 9/ 303، الجزائريّ، أيسر التّفاسير: 3/ 468.

وليذكروا اسم اللّه على ذَبْح ما يتقربون به من الإبل والبقر والغنم في أيام معيَّنة هي: عاشر ذي الحجَّة وثلاثة أيام بعده؛ شكرًا للّه على نعمه، وهم مأمورون أن يأكلوا من هذه الذبائح استحبابًا، ويُطعِموا منها الفقير الَّذي اشتدّ فقره[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

موقع جملة: ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾ ممّا قبلها:

جملة ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾ تعليليّة لقوله: ﴿يَأْتُوكَ﴾؛ فهو مُتعلِّقٌ به، واللّام للتَّعليل؛ أيّ: يأتوك ليشهدوا، والإتيان مُسَبَّبٌ عن الأذان في قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ﴾، فصار ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾ مُسبَّبًا غائيًّا عن الأذان كذلك؛ أيّ: أذِّن ليأتوك وليشهدوا، ولذا قيل: ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾ متعلّق بـ﴿وَأَذِّن﴾[2]، وكان من الممكن أن يُقال: (يشهدون منافع لهم ...) إلخ؛ على الحاليَّة من فاعل ﴿يَأْتُوكَ﴾، لكنَّ الأليق بالمعنى هو العلّيّة.

مَـنْ أتى ساعيًا لله؛ شهِدَ الخيرَ الوفير في حياته

بلاغة الكناية في شهود المنافع:

معنى شهود المنافع في قوله: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾: حضورها بغرض تحصيلها، فشهودها كنايةٌ عن إحرازها وإنجازها؛ لأنّه لازمٌ ضروريٌّ لشهودها، فهي لا تُشْهَد إلّا لفائدةِ اغتنامها[3]، والمعنى المُكنَّى به مُرادٌ وحاصلٌ كالمُكنَّى عنه، وعُبِّر بالمُكنَّى به لمناسبة سياق الامتنان.

المنافعُ مشهودةٌ بالخواطر والنّواظر

دلالة تنكير كلمة: ﴿مَنَـٰفِعَ﴾:

تنكير كلمة ﴿مَنَـٰفِعَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ للإبهام؛ فلا يتحدّد نوع هذه المنافع على التَّعيين، وللتَّكثير والتَّفخيم الاختصاصيّ؛ فهي منافع كثيرةٌ تختصّ بهذه الشّعائر المُقدّسة، فلا تكاد توجد في غيرها، ولا تكاد تنحصر أو تُعدّ[4]، وعُبِّر بصيغة

أماكن الشّعائر مهابِطُ الخيرات والفتوحات

(1) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسر، ص: 335.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 138، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 245.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 246.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 152، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 471، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 104، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 246.

الكثرة: ﴿مَنَٰفِعَ﴾؛ لتصوير حقيقة ما يشهده الآتي البيت الحرام، ووراء ذلك من المعنى التّرغيبُ الشَّديدُ في الإتيان المذكور.

معنى اللّام في قوله: ﴿لَهُمْ﴾ وفائدة التّقييد بـ: ﴿لَهُمْ﴾:

الله تعالى لا تنفعه طاعةٌ ولا تضرُّه معصيةٌ

قوله: ﴿لَهُمْ﴾ مُتعلِّق بمحذوف صفة لـ﴿مَنَٰفِعَ﴾؛ أيْ: منافع ثابتةٌ أو كائنةٌ لهم، واللّام للاختصاص والأجْل؛ أيْ: منافع لأجلهم أو منافع لهم خاصَّةً، ووصفَ القرآنُ المنافع بأنّها ﴿لَهُمْ﴾ ليدلّ على أنّ طاعتهم لأجل نفْع أنفسهم، فلا ينتفع المولى سبحانه بشيءٍ منها، ولا يضرّه شيءٌ إذا قصروا عنها[1]، وفيه تصريحٌ بالامتنان عليهم بتلك المنافع من شأنه الزّيادة في ترغيبهم في تلبية دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام.

نكتة تقديم المنافع على ذِكْر اسمِ الله:

النّفس مُستشرِفةٌ لعواجل المنافع والمصالح

قدَّم شهود المنافع على ما بعده في النَّظم رعايةً لحاجات النُّفوس في استشرافها المصالح الذّاتيَّة وتشوُّفها لعواجل المنافع، والمُستَشْرَفُ مُقَدَّم؛ وهو من جبر الخاطر بما يُعين على التّكليف ويُحفِّز إليه، وفيه أيضًا إشعار بأنَّ لهذه المنافع مدخلًا في ذِكْر اسم الله سبحانه وتعالى؛ فمِن ذِكْرهم ما يكون شكرًا لله على تلك المنافع، وهذا تعظيمٌ وتفخيمٌ لتلك المنافع من جهةٍ، وحثٌّ على الذِّكْرِ من ناحية أخرى.

بلاغةُ تعدُّد الصّورة في معنى ذِكْر اسمِ اللهِ:

عند ذِكْرِ اسم اللهِ كلُّ خير

قوله: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كنايةٌ عن الذّبح والنَّحر، كأنّه قيل: (لينحروا بهيمة الأنعام)[2]، وإنَّما كان ذِكْر اسم الله كنايةً عن الذَّبح؛ لأنَّه لا ينفكُّ

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 38.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 153، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 70، والطيبي، فتوح الغيب: 10/ 472، وأبو حيان: البحر المحيط: 7/ 502.

عنه؛ فالمُرادُ بالذِّكر ما وقع عند الذَّبح، وهذا مِن وجوه المعنى في الآية[1]، ويجوز أن يكون ذِكْر اسم الله مجازًا مُرسلًا علاقته الملزوميَّة أُطلق الملزوم الَّذي هو: (ذِكْر اسم الله) وأُريد لازمُهُ؛ وهو (الذّبح)؛ فإنّ المسلم إذا ذبح ذَكَرَ اسمَ الله على ذبيحته.

فائدة التَّعليل بذِكْرِ اسم الله دون سواه:

تحقيقُ الذِّكر غايةٌ قُصوى من العبادات

علّل القرآنُ بذِكْر اسم الله دون سواه ممّا يتعلَّق بالذّات العليَّة في قوله: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾؛ للدّلالة على أنّ الغرض الأصليّ من القربات ومن إتيان المشاعر تحصيل الذِّكْر الأكبر التّامّ؛ وهو ذِكْر اسم الله[2]، وفي جعل ذِكْر اسمِ اللهِ غايةً للإتيان - لعطفه على قوله: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾؛ فهو في تقدير: (وليذكروا اسم الله) - نفسُ الغرضِ؛ أيْ: إيذان بأنَّه الغاية القصوى دون غيره[3].

دلالةُ الإضافة إلى اسم الألوهيَّة الجليل:

ذِكْرُ اللهِ إقرارٌ من العَبْد على كمال مولاه وعَظَمَتِه

أضاف القرآنُ الاسمَ في قوله: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ إلى اسم الذّات ﴿ٱللَّهِ﴾؛ للدّلالة على كمال هذا الذِّكر والتَّحقّق به؛ ولتعليل استحقاقه سبحانه للذِّكر وغيره من ألوان التَّوسُّل عند الذَّبح وغيره من صنوف التَّعبُّد؛ لأنَّ اسم ﴿ٱللَّهِ﴾ يدلُّ على أنّه الجامع لجميع الكمالات، وباستحواذه هذا الكمال فقد قدَر على جمْعهم في صعيدٍ واحدٍ في الحجّ، وفي الإضافة إلى اسم الذّات الأعظم تعريضٌ بأصنامهم؛ أيْ: ليذكروا اسمَ اللهِ الكامل، لا اسمَ شيءٍ من الأصنام النّاقصة كما كانوا يفعلون في الجاهليّة[4].

فائدة تنكير ﴿أَيَّامٍ﴾ ونكتة وصفها بمفعول العلم:

كون الشَّيء معلومًا؛ أيْ: معدودًا بحسابٍ ويقينٍ

أفاد تنكير هذه الأيّام تفخيمها وتعظيمها؛ فهي أيّام عظيمة

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 21.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 153، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 104.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 21.
(4) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 39.

عند الله تعالى، ووصف الأيّام بمفعول العِلم ﴿مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ في قوله: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ - وهي عشر ذي الحجّة وأيّام التشريق - لأنّها آخر وقت الحج؛ لذا يحرص النّاس على عِلْمها والتَّيقّن من حسابها وعدّها، ويُؤيِّده مجيء وصف وقت الحجِّ بهذا الوصف في قوله: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ [البقرة: 197]، وفائدة التَّقييد بـ﴿مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ التَّحريض على هذه الأيّام وعلى اغتنام فضلها؛ إذْ ليست كغيرها، فكأنَّه قال: هي مخصوصاتٌ فلتُغتَنم[1].

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾:

الـــرِّزق ستْرٌ وغطاءٌ

لفظ: ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾ مُتعلِّق بقوله: ﴿وَيَذۡكُرُواْ﴾، وهو للاستعلاء المجازي الَّذي هو بمعنى الملابسة والمصاحبة؛ أيْ: على رِزْق الأنعام[2]، أو بمعنى السَّببيَّة؛ أيْ: لأجل ما رزقهم[3]، وعلى الوجه الأوَّل ففي حرف الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾ إشعارٌ بعظيم امتنان الله تعالى عليهم؛ فإنَّ رزقه جليل عظيم يستوجب من العبد أن يبذل كل ما في وُسْعه مِن شكر ظاهر وباطن له سبحانه، وأن يُبالغ في ذلك؛ وإن كان لا يستطيع أن يُكافئ رزقَ الله بشُكْره؛ إلّا أنَّ الآية سلكت مسلكًا من مسالك المبالغة؛ حثًّا شديدًا على عظيم الشُّكر وأحسنه وأبلغه؛ وهو أن أفهمت أن ذِكْرَ اسم الله يكون منهم حتى يعلو فوق هذا الرِّزق، وليس المقصودُ ذات الذِّكْر؛ وإنَّما الغرض منه هو شكرُه ﷻ.

بلاغةُ مجاز الحذف في مُتعلَّق الرِّزق وتعليق الذِّكْر عليه:

الأرزاق تُـنـال بالأذكار لا بنَكَد الأفكار

قوله: ﴿مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ مُتعلِّق بـ: ﴿رَزَقَهُم﴾ والتَّركيب على حذف مضاف؛ أيْ: (رزقهم من نحرِ بهيمة الأنعام أو ذبحها)، ومعنى ذلك: أنّ إجازة الذّبح للأنعام رزقٌ يستوجب ذِكْر اسم الله

(1) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 119، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 473.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 246.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/ 17.

عند إتيانه[1]، وفيما عليه ظاهرُ النَّظم الكريم: ﴿مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ من الحذف المذكور تذكيرٌ بنعمة بهيمة الأنعام في نفسها؛ ومِمّا حسَّن هذا الفَهْم أنَّ الله قال: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾؛ فنحْرُ بهيمة الأنعام نعمةٌ تستوجب الرِّزق، وبهيمة الأنعام نفسُها نعمةٌ أخرى تستوجب ذلك بملاحظة منافعها؛ ففي تعليق الذِّكر على الرِّزق إدماجٌ للحُكْم من وجوب ذِكْر اسمِ الله على الذّبائح مع الامتنان بأنَّها أرزاقٌ من الله وحده، بما يستلزم الشُّكر عليها وإطعام المحتاجين منها؛ ولذا فرَّع عليها قوله: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾[2]؛ فبالحذف قوي الامتنان والإنعام؛ ولهذا لم يُقلْ في السّياق الكريم: (ليذكروا اسمَ اللهِ على بهيمة الأنعام)، بل علّقه على الرِّزق؛ تحريضًا على القُربةِ والطّاعة، وتنبيهًا على مقتضى ذِكْرِ اسم الله عليها، وهي كونها رِزْقًا ومحضَ تفضُّلٍ من الله[3]، فنحرُها رزقٌ، وهي رزق آخر.

معنى ﴿مَا﴾ و﴿مِّنۡ﴾ وفائدتهما ومعنى الإضافة: ﴿بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾:

الأولى أفادت الإبهام والعموم والثانية إزالة الإبهام والإضافة هنا بيانية

﴿مَا﴾ في قوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾ موصولةٌ تُفيد الإبهام والعموم[4]، ويحتمل أن تكون مصدريّة؛ أيْ: (على رزْقه إيّاهم، أو على مرزوقهم)، والموصولة اسمٌ له عائدٌ، والمصدريّة حرفٌ لا عائد له[5]، والإبهام في: ﴿مَا﴾ على الموصوليّة مع مدَّ الألف فيها يُصوّر عَظَمة هذا الرِّزق وفخامته، و﴿مِّنۡ﴾ في قوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ بيانيّة أزالتْ إبهام ﴿مَا﴾ وعيّنتْ مفهومها[6]، والإضافة في قوله: ﴿بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ بيانيّة؛ أيْ: بهيمةٌ من الأنعام؛ فالبهيمة مبهمةٌ في كلِّ ذاتِ أربعٍ في البرِّ والبحر، فبيَّنت بالأنعام؛

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 246.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 246.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 70، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 104.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 247.
(5) الخطيب، التّفصيل في الإعراب: 9/ 265.
(6) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 70.

وهي الإبل والبقر والضَّأن والماعز[1]، فإضافتها إليها من إضافة العامِّ إلى الخاصِّ[2].

الموقعُ البيانيُّ لجملة: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾:

جملة: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ مُفرَّعةٌ عن قوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ﴾، والفاء فصيحة لترتيب مدخولها على ما قبله بتقدير محذوفٍ يُعلَمُ من السّياق؛ أيْ: فإذا كان الأمر كذلك من ذبح الأنعام الَّتي هي رزقٌ من الله وتُبارَكُ بذِكْر اسم الله، فكلوا منها، وقد حُذِفَ معطوف الفاء؛ للإشعار بأنَّه أمرٌ مُحقّقٌ لا يحتاج إلى التَّصريح به[3]؛ فالفاء في ﴿فَكُلُواْ﴾ لها معنى السَّببيَّة مع التَّعقيب[4].

وفـرة الأرزاق تـنـادي بـوفـرة الإنفاق!

دلالةُ الخطابِ: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ ومعنى: (مِن):

الخطاب بالأمر في قوله: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ للإباحة، وقد جاء بطريق الالتفات احتراسًا من توهّم أنّ المُتَطوَّع به لا يُؤكل منه كما كان أهل الجاهليّة يصنعون، ويصحّ أن يكون الأمر للنَّدب، لأنّ الأكل من الذَّبائح والأضاحي المبذولة للفقراء فيه نوعُ مواساة ومساواة للفقراء بإظهار المُشاركة لهم فيها، ولا يخفى ما فيه من التَّواضع، ولا يخفى ما في الامتناع عن ذلك من معنى الإقصاء لهم والتَّمايز عليهم[5]، و: (مِن) في قوله: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ للتَّبعيض؛ فلهم بعضٌ فيها، وللمُستحقّين بعضٌ كذلك.

النّيّةُ قد تجعل الانفرادَ بالعطاء إقصاءً والمشاركةَ فيه مساواةً ومواساةً

نكتة الالتفات من الغيبة للخطاب:

جاء الالتفات من ضمائر الغيبة في قوله: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾

الأحكام التّكليفيّة تتقرّر بالخطاب المباشر

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 153.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 50.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 104.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 50.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 153.

إلى ضمير الخطاب في قوله: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ﴾ وفي ذلك إقبالٌ عليهم، وحثٌّ لهم على التّقرُّب بالهدايا والضَّحايا[1]، فمع تقرُّبهم إلى العباد وتقريبهم لهم بالإطعام وغيره يكون تودُّدُ الله لهم، وتقريبه لهم في ساحة رضوانه في الدُّنيا والآخرة.

موقع جملة: ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ﴾: ممّا قبلها:

مَـن نـسي حـقّ غيرِهِ بحقّ نفسِهِ فقد ضلّ وبَغى

جملة ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ معطوفة على قوله: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾[2]؛ فهي داخلة في حيّز التَّفريع بالفاء، والتَّثنية بالإطعام بعد الأكل منها، من باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [القصص: 77]؛ فالذي سوَّغ الأمر بالأكل منها من قبل الأمر بإطعام الغير منها هو سياق الامتنان؛ فالغرض أن يذوقوا هم النِّعمة والمُمْتَنَّ به أوّلًا؛ تناسقًا مع قوله: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾، ولا ريب أن هذه المنافع تتعداهم إلى غيرهم؛ بأن يكونوا سببًا فيها.

دلالةُ الخطاب بالأمر في قوله: ﴿وَأَطۡعِمُواْ﴾:

البائس الفقير أحـقّ بالإعطاء من غيره

الخطاب بالأمر في قوله: ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ للوجوب[3]، بقرينة أنّها مجعولة للبائس الفقير، وهو مقصودٌ أصالةً من الذَّبح، وبقرينة أنَّه وصف مُستحِقّ الإطعام بوصفي البؤس والفقر؛ لتأكيد كونه مُستحقًّا يجب البذل له.

معنى: (أل) في ﴿ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ وعِلّة ترك العطف بين الوصفيْن:

أفاد التّعريف في قوله: ﴿ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ الجنسيّة الاستغراقيّة؛ ليعمّ سائر أصناف الفقراء، وترك القرآنُ العطف بين هذيْن اللّفظيْن: ﴿ٱلۡبَآئِسَ﴾، ﴿ٱلۡفَقِيرَ﴾؛ لكون البائس هو الفقير؛ فبينهما كمال اتّصالٍ لامتناع العطف بين الصِّفة والموصوف؛ فكلُّ بائس فقير[4].

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 39.
(2) صافي، الجدول: 17/ 108.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 221.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 247، 248.

نكتة النَّصّ على ﴿ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ معًا:

مـراعـاة حـالات المحتاجين واجبة ويــزداد تأكدها بقداسة الموقف والمكان

لم يكتف القرآنُ في السّياق الكريم بالوصف ﴿ٱلۡفَقِيرَ﴾ مع أنّه مُغْنٍ عن البائس، لترقيق أفئدة النّاس على الفقير بتذكيرهم أنَّه في بؤس لأنّ وصف (فقير) صار لشيوع تداوله على الألسن كاللَّقب المألوف ويكأنَّه غير مُشعِرٍ بمعنى الحاجة، فضلًا عن أنّه قد حصل من ذِكْر الوصفيْن التّأكيد على الإطعام والمبالغة في التّحريض عليه[1]، وهذا يتناسب مع التَّشديد في العمل الَّذي هو من سمت السّورة.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الشُّهود والحضور:

الشُّهود يشتمل عـــلى مـعـنـى الحضور وزيادة

أصل (حضر) يدلّ على خلاف الغَيْبة، فيدلّ على إيراد الشيء ووُروده في محلٍّ ما، مع حصول مشاهدته أو عدم حصولها[2]، وأصل: (شهد) يدلّ على حضورٍ وعِلمٍ وإعلام[3]، والشُّهودُ والشَّهادَةُ: الحضور مع المشاهدة، إمّا بالبصر، أو بالبصيرة؛ لكن الشّهود بالحضور المُجرّد أوْلى، والشّهادة مع المشاهدة أوْلَى[4].

وعليه: فالشّهود يكون في معنى الحضور وزيادة، فلا بدّ من اقترانه بالمشاهدة، وهي الرؤية البصريّة أو القلبيّة، ولذا فهو يُفيد العِلم واليقين بخلاف الحضور، فقد يكون مُجرَّدًا عن المشاهدة؛ فيحصل من غير حصولها، وقد يقترن بها فيكون حضورًا وشُهودًا، ولذا قال هنا: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾؛ ولم يَقُلْ: (يحضروا)! ليدلّ على حصول تلك المنافع لهم على جهة العِلم واليقين، فهم يرونها

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 247، 248.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسَّمين، عُمدة الحُفَّاظ: (حضر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شهد).
(4) الرَّاغب، المُفردات: (شهد).

ويُلا بسونها، ولو قيل: (يحضروا)، فيدلّ على وجودهم من غير أن يلزم عن ذلك معاينة تلك المنافع والعِلم بها؛ ولذا قال في قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق: 37]؛ لأنّه قد يكون حاضرًا من غير شهودٍ باستبصارٍ وفهم[1]، ولذا لم يَقُلْ: (وهو حاضر)؛ لأنَّه قد يحضر وهو غير شاهد، ولكن إذا كان شاهدًا فلا بدّ أن يكون قد حضر.

(1) الشوكانيّ، فتح القدير: 1/ 1402.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»